

ديوان

الشَّافِي

من شعر

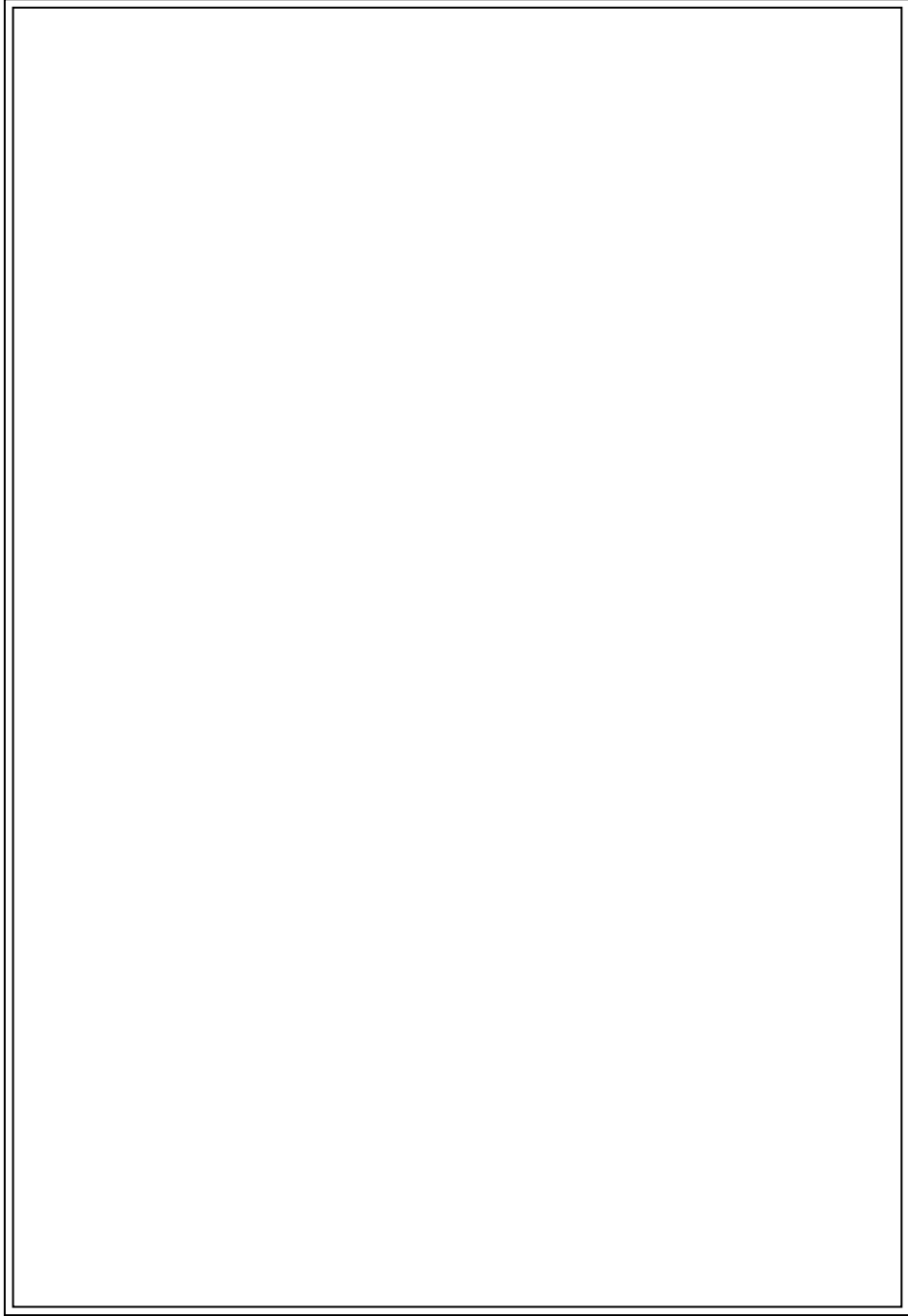
صلاح الدين القوصي

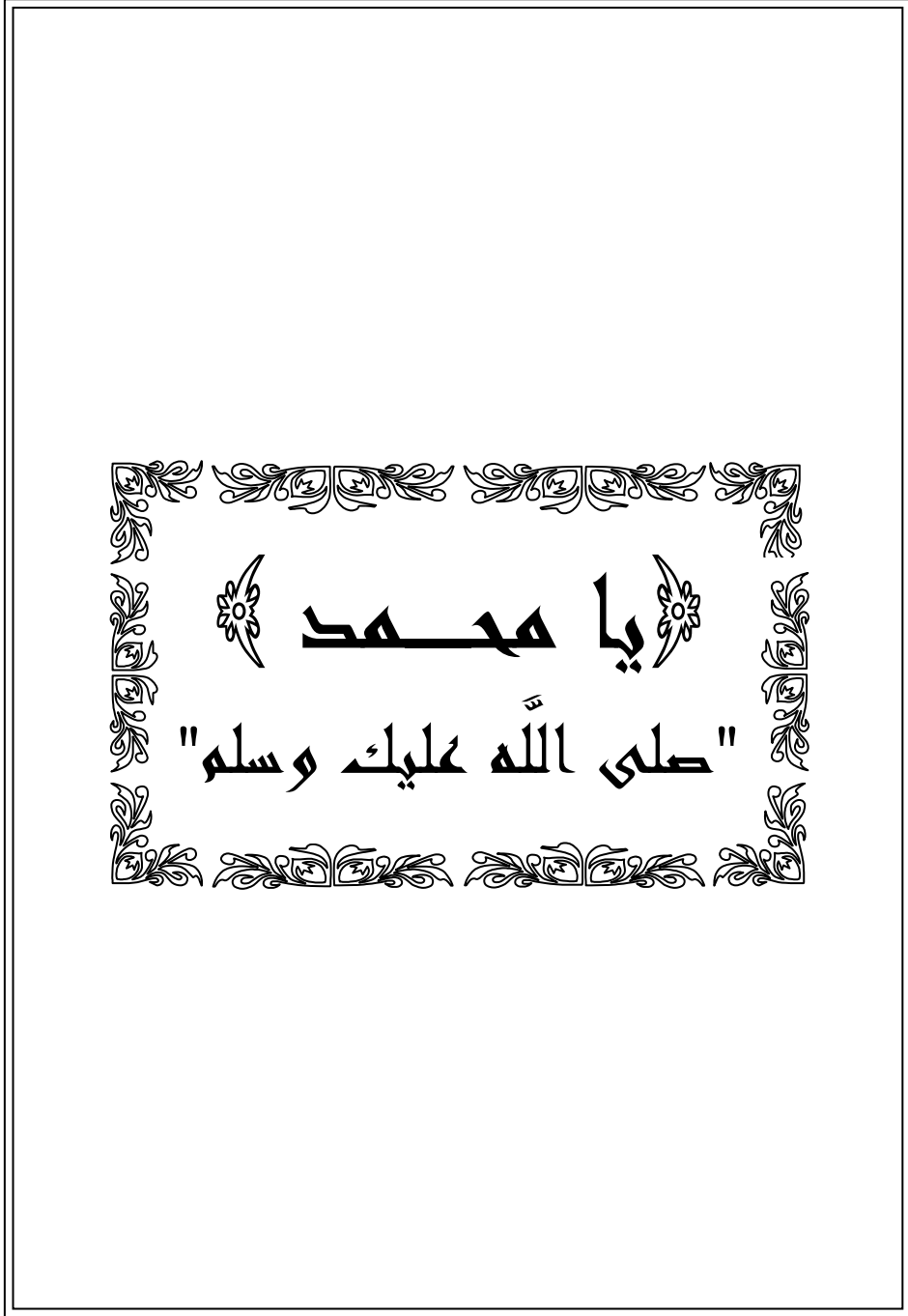
(الجزء التاسع عشر)

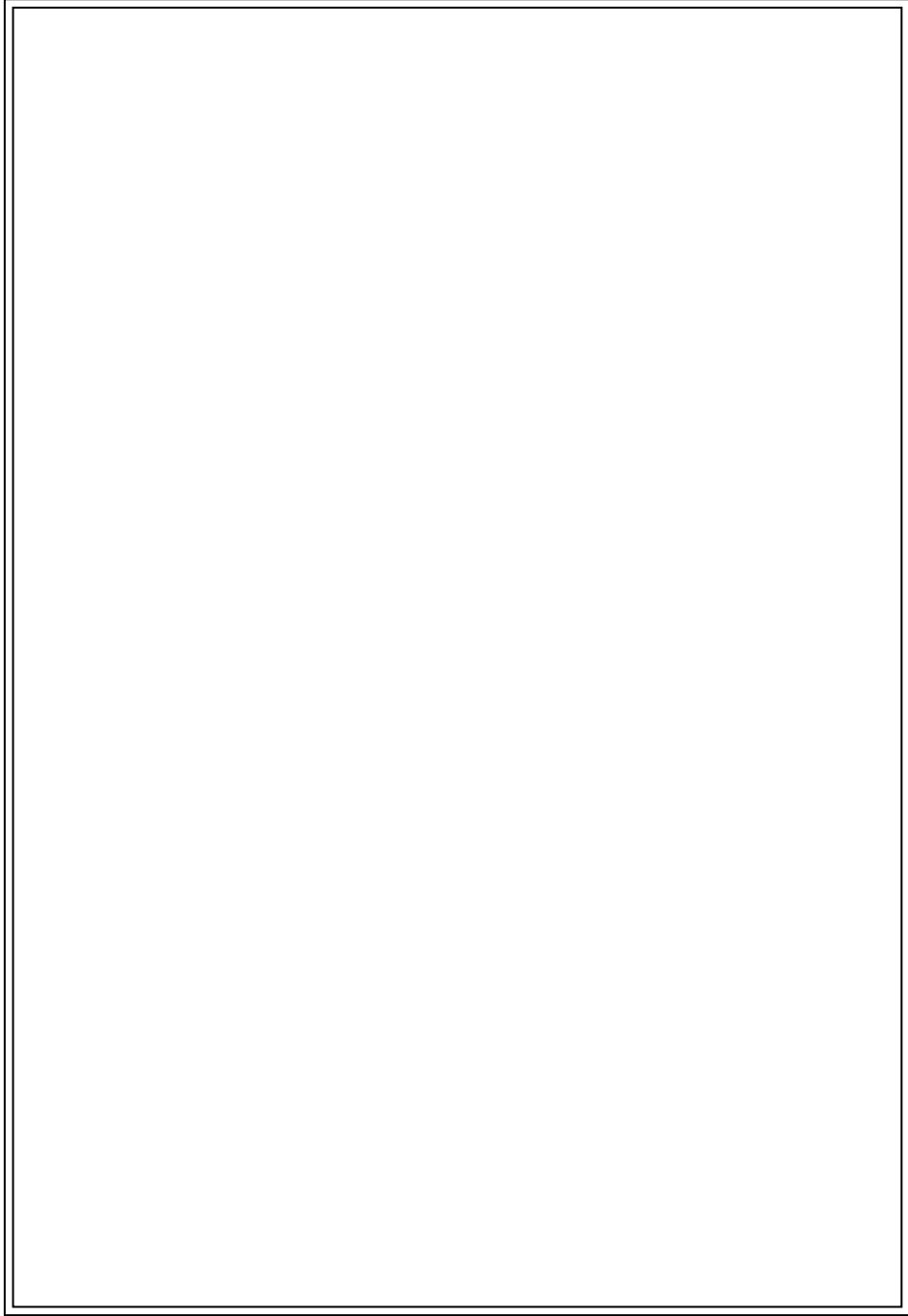
الطبعة الأولى

غرة رمضان ١٤٢٩ هـ - سبتمبر ٢٠٠٨ م

وقف لله تعالى لا يباع







بِسْمِ الْقَدِيرِ .. وَمَا بَرَا  
فِي الْكُونِ .. مِنْ قَدَرٍ جَرَى  
وَصَلَاةُ رَبِّي .. وَالسَّلَامُ  
لِخَيْرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى  
سَبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْوُجُودَ  
مِنَ الدُّخَانِ مُصَوَّرًا  
عَدَمٌ .. وَنُورٌ "مُحَمَّدٍ"  
فِي الْكُونِ يَبْدُو نَيِّرًا  
صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ ..  
وَالْمَلِكُ الْكَرِيمُ مُكَبَّرًا  
مِنْ قَبْلِ "آدَمَ" .. وَالْخَلَا  
ئِقِ .. عَزَّرَبِّي قَادِرًا

قال: اصطفيتك يا "محمد" ..

قال : جئتُك شاكِراً

أنا .. ساجدٌ لك سيدي ..

دَوْماً .. وَحَقّاً .. ذاكِراً

إني عرفتُك حَقّاً

معرفة .. فقال: بينا تَرَى

إني خَلَقْتُكَ مِنْ صفاتي ..

قال : عَبْدًا .. في الْوَرَى

"مشكاةُ أنوارى" .. جَعَلْتُكَ ..

قال .. قال : يَكُمُ أُرَى ..

يا رحمتي في الكونِ .. قال ..

فقال : فَضْلاً غامِراً

يا طُهرَ قُدسٍ .. جَلَّ عن  
وَصْفٍ .. فَزِدْتَ تَطَهُّراً

قال: استمعُ روحاً ..  
فقال: الروحُ فيَّ تَصَدَّرًا ..

وَجْهٌ إِلَيْكَ .. فلا يراك  
سِوَاهُ .. أو يَتَصَوَّرًا

لكن .. إلى الأَكوانِ أ  
نظُرُ منه .. وَجْهًا آخِرًا !!

\*\*\*\*\*

وإذا "بِعَرْشِ اللَّهِ .. وَالكَرْسِيِّ"  
يبدو بالكمالِ مُنَوَّرًا

و"صَحَائِفُ الأَقْدَارِ" .. و"المِيزانُ"  
و "المعمورُ" .. كلُّ عُمُرًا

وَأُقِيمت "النيرانُ" .. و"الفر  
دوس" .. أصبح مُزْهراً  
وإذ الملائكُ مثل نَجْمٍ  
قد بدالى .. زاهراً  
وَأَتَى "ابنُ آدمَ" .. قيل: هَيَّا  
فاسجدوا لى .. آمراً  
قد كان ما قد كان .. حتى  
الكون أصبح زاخراً  
يا أيها "المختارُ" .. نورى ..  
صار أَمْرُكَ ظَاهِراً  
فإليك .. ما تدريه مِنْ  
سِرٍّ .. وكن لى شاكِراً ..

قال "الحبيب": العبدُ منكم..

دائمًا بكم يُرى !!

سبحانَ ربِّ الكونِ .. فر

دًا .. باطنًا أو ظاهرًا

\*\*\*\*\*

نورٌ منَ الرحمنِ .. يبدو

في بصيرةٍ من يرى

واللهِ .. والرحمنِ .. والذات

العَلِيَّةِ في الوَرَى

قد جاءني - والله - بل

قد قال: جئتُ مُبَشِّرًا

يا أيها المجهولُ في الأ

كوان .. ياليتنا أراه مُشَمَّرًا !!

قَد حَانَ دَوْرُكَ .. قُمْ  
وَحَدِّثْ .. كَيْ تَقُولَ وَتُظْهِرَا  
مِنْ نَوْرِ سِرِّي .. قَدْ حَبَوْتُكَ  
كَيْ تَصِيغَ .. وَتَنْشُرَا  
فَخُذِ الْكِتَابَ إِلَيْكَ .. وَاقْرَأْ ..  
ثُمَّ لَخِّصْ مَا تَرَى !!  
قَدْ كَانَ مَخْزُونًا .. وَحَانَ  
الْوَقْتُ .. كَيْ يُتَحَرَّرَا  
بِلِسَانِ قَوْمِكَ .. قُلْ لَهُمْ  
قَوْلًا .. تَرَاهُ مُيَسَّرَا  
شَغَلَتْهُمْ الدُّنْيَا .. فَمَا  
كَادَ الْمُثَقَّفُ أَنْ يَرَى !!

ظَنُّ .. وَشَكُّ .. وَارْتِيَابُ  
زَيَّنُوا أَنْ يَكْفُرُوا

وَعَمَى .. بَعِينِ بِصِيرَةٍ !!  
حتى الحقائق .. ما درى !!

\*\*\*\*\*

عَرَّفَ "محمدنا" الحبيب ..  
لِمَنْ يَرِيدُ تَدْبُرًا ..

قُلْ : كيف رحمنا به ..  
لِمَنْ اسْتَقَامَ .. تَطَهَّرَا !!

قل : كيف يشفع للمسيء !!  
وَمَنْ تَجَبَّرَ .. وَاْفْتَرَى !!

ما دام في قلب العصى  
الْحَبُّ .. لَيْسَ تَظَاهُرَا !!

مِنْ قَلْبِهِ .. أَمَّنٌ .. وَإِيمَانٌ  
لِعَبْدٍ .. قَدْ شَرَى  
دُنْيَاهُ بِالْآخِرَى .. فَأَكْرَمُ  
بِاللَّبِيبِ .. مَنْ اشْتَرَى !!  
أَخْرَاهُ عِنْدَ "مُحَمَّدٍ" ..  
فِي جَنَّةٍ .. فَوْقَ الدُّرَى  
فَازَ الصَّحَابَةُ .. وَالْكَرَامُ  
الْأَقْرَبُونَ .. عَلَى الْوَرَى  
يَا سَعْدَ .. مَنْ حَقَّ رَأَاهُ ..  
وَلَوْ مَنَامًا .. لَوْ يَرَى ..  
طُوبَى لِمَنْ شَهِدَ الرَّسُولَ ..  
وَكَانَ حَقًّا أَبْصَرَ

\*\*\*\*\*

لكنّ .. عيونُ الناسِ .. فى  
قلبِ مريضٍ .. لا ترى !!  
همّ ينظرون .. ولا ترى  
فيهم .. وحقّك .. مبصرا !!  
"مشكاة نورٍ" .. إى - وحقّ  
الله - يبدو ظاهرا  
إن بالفؤاد .. تراها حقّا ..  
مثلَ بدرٍ .. مُقمرا  
أنوارُ علمِ الله فيه ..  
وسرّه حقّا سرى  
كلُّ الملائك .. منه كال  
قطراتٍ .. غيثٌ أمطرا !!

" جبريلُ " .. منه .. و كَلُّهُ  
روحٌ .. تَبَدَّى سَافِرَا  
إِنْ لَمْ تُصَدِّقْ .. قُمْ لِنَقْرَأْ  
قَوْلَ رَبِّي ذَاكِرَا  
ما والدُ .. وَكَدَّ الْعِيَالِ !!  
سِوَى الرَّسُولِ .. مُبَكِّرَا !!  
مِنْ قَبْلِ "آدَمَ" .. رَبُّنَا  
جَمَعَ الْخَلَائِقَ .. آمِرَا  
" أَوْلَسْتُ " .. أُنِّي رَبُّكُمْ !!  
و الْكَلُّ .. أَنْصَتَ صَاغِرَا ..  
قَالُوا : " بَلَى " .. ذَرَّأَ ..  
وَ كَانَ " مُحَمَّدٌ " .. نُورًا يُرَى !!

و النورُ منه .. إلى الخلا  
نُق .. كالشعاعِ مُنورًا !!  
قد آمنتُ باللهِ فطرتُهُمْ ..  
وَ خَابَ مَنْ افترى  
"إبليسُ" .. يَخشى إنْ تَقَدَّمَ !!  
بل .. يسيرُ القَهقرا  
فالنورُ .. نورُ "محمدٍ" ..  
غَشِيَ الوَرى وَ تَصَدَّرَا  
و "الروحُ" .. إنْ تفهمْ لقولى  
بالبصيرةِ .. قد ترى  
هو .. رحمةٌ للأقدمين ..  
وَ مَنْ أتى متأخرًا !!

\*\*\*\*\*

هذا عجيبٌ.. كيف هذا!!  
هل فَهَمْتَ مُفَسِّرًا!!  
لو كان "طه" .. مثلكم  
بَشْرًا .. فكيف إِذَا جَرَى  
هذا القديمُ مع الحديثِ!!  
وَجَلَّ رَبُّ قَدْرًا  
وهو العظيمُ .. وكيف  
يفهمُ خَلْقَهُ مَا دَبَّرًا!!  
"عيسى" .. و"آدم" .. مسلمون!!  
فكيف هذا يَأْتُرَى!!  
كيف "الإمام" .. يكون!! هل  
يَأْتِي الإِمَامُ مُؤَخَّرًا!!

هم مقتدون به .. فقل لى  
كيف يأتى من ورا !!  
هو.. "فطرة" فى الروح.. فافهم  
كيف فيهم قد سرى !!  
وعلى النبى .. الله صلى  
باسمه .. قبل الورى  
وبه .. الصفات تدور فى  
الأكوان .. فعلاً ظاهراً  
من شاء يفهمها بعقل  
إن اتى متفكراً ..  
أوذائقا .. آثارها ..  
إن كان عبداً شاكيراً ..

هو "قبلة الأرواح" .. و"البيتُ  
المقدَّسُ" .. للملائك عامراً !!

\*\*\*\*\*

يا أيها "المختارُ" .. من  
كلِّ الخلائقِ .. والورىِ  
السِّرِّفيكِ .. وقد علمتُ !!  
كأنَّ عِقلي فُجِّرًا !!  
لوقلتُ ما أعنيه .. قالوا:  
العبدُ .. أصبحَ كافرًا !!  
قال الإمامُ "على الكرارُ" ..  
هذا القولَ مثلى .. سافرًا !!  
و"أبوهريرةُ" .. و"ابنُ عباسٍ" ..  
بقولهم الكلامَ مُكرَّرًا ..

"إِنِّي لِأَعْلَمُ مِنْ عُلُومِ  
اللَّهِ .. عِلْمًا نَادِرًا !!  
لَوْ قُلْتُهُ .. فَلَرَبِّمَا  
قَالُوا: جُنُنْتَ .. وَفَاجِرًا !!"  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ .. اسْتَفِيقُوا ..  
العقلُ يُبْقَى قَاصِرًا  
فَاللَّهُ فَوْقَ الْعَقْلِ ..  
رَبِّي لَا يَزَالُ مُدَبِّرًا  
وَاللَّهُ .. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ  
وَلَا أَبَدًا تَرَى !!  
إِلَّا لَهُ الْآيَاتِ .. فِي الْأَكْوَانِ ..  
تَبْدُو بَاطِنًا .. أَوْ ظَاهِرًا !!

\*\*\*\*\*

\*قالوا: فَهَيْمَتَ!! فقلتُ: كيف!!

ف قيل: فاقراً ما ترى..

هذا الكلامُ.. من اليمين..

وقد تراه الأيسرا!!

يعلو.. يهبط!! لست تدري..

كيف صار مُسَطَّراً!!

لكن.. ستفهمه!! وما نظرتُ

له عيناك!! مهما تنظرا!!

هذا.. فؤادك قد تلاه!!

بغيرِ حرفٍ أو كلامٍ صُوراً

بل كيف يكتب!! لست تدري!!

لا.. وغيرك ما درى!!

---

\* رؤيا

ما قال ربى "الكافُ" .. أو  
"نُوناً" .. ولا حرف جَرَى !!  
رَبِّى .. تعالى عن كلامِ  
الناسِ .. مهما يُفْتَرى !!  
مِنْ عالمِ الملكوتِ .. يَأْتِيكُمْ  
عَيَاناً .. حيثُ تَكْشِفُ سَاتِرَا !!  
ملكوتُ ربى صار عندك  
فى الشهادةِ .. ظاهراً !!  
فاحذَرُ .. ولا تَنْطِقْ سِوَى  
بالأمرِ مَنِ صادراً  
مِنْ عالمِ "الملكوتِ" .. يبدو  
فى النُّهى .. مُتَصَوِّراً

و الرمزُ .. و التأويلُ .. فيه ..

لِمَن يَصِيرُ مُعَبَّرًا

\*\*\*\*\*

أنت "الترابُ" فَإِنَّ صَبَبْنَا

الماءَ فِيكَ تَحْمَرًا !!

كيفَ الدماءُ لَكُمْ!! و تَنْظُرُ

لَوْنَ جِلْدٍ أَصْفَرًا !!

و انظُرْ عظامًا يابساتٍ !!

ثم شَعْرًا ثَائِرًا !!

أين الترابُ إِذَا نظرتُ !!

فهل أراك مُعَبَّرًا !!

يا تراباً أنت .. لكنْ

هل كيانك كالثرى !!

لَوْ صَبَبْنَا فِيكَ مَاءً  
هَلْ تُرَاهِ تَخْمَرًا!!  
و"الملائكُ" ..كلُّها نورٌ  
ولكنّ ..قد تُرى  
و"النارُ" ..أصلُ "الجنِّ"  
لكن ..قد بدأ مُتغيِّراً  
يا جهولَ النَّفْسِ ..قل لى  
كيف نوماً قد ترى!!  
مُغْمَضُ العَيْنِينَ لا  
تدرى!! وعقلك قد درى!!  
بل ترى فى النومِ  
أحداثاً ..فتأتى باكراً

أين كنت .. كيف تُبصرُ  
بين أطرافِ القرى !!

بل أزيد .. فإن رأيتَ  
"المصطفى" .. قد نوراً

هى .. رؤيةُ الحقِّ .. ترى  
فيها "النبي" .. مناصراً

ياسعد من حقاً  
تَشرفَ بالكمالِ مُصوراً

تَعسَ المَكذِبُ .. والجهولُ  
وخاب كلُّ من افترى

\*\*\*\*\*

أمّا "المُحمَّدُ" .. يا بُنىَّ  
فقد عَلا وتصدراً

إِنْ قَلتَ: قرآنًا يسيرًا..  
متى!! وكيف له قرا!!  
مِنْ بَعْدِ وَحْيٍ!! أَمْ أَمِينًا  
صَادِقًا.. دوما يُرى!!  
أُتْرَاهُ " جبريلا " .. يُعَلِّمُ!!  
أَمْ بِرُوعِ طُهُرًا!!  
أَوْ قَلتَ: نُورًا.. هل ظننتَ  
كنورِ مِصْبَاحِ القُرَى!!  
إِفْهَمْ لِمَعْنَى " النور " رمزًا..  
لَا تَكُنْ مُتَحَجِّرًا!!  
بَلِ " بَيْتُهُ المَعْمُورُ " .. فِيهِ!!  
وَمَنْ تُرَى قَدِ عَمَّرَا!!

بل كيف أعمالُ العبادِ  
عليه تُعْرَضُ باكراً!!  
فيكون إِمَّا حَامِداً..  
للهِ.. أو مُسْتَغْفِراً!!  
"مِيزَانُ أَعْمَالٍ".. لديه..  
يَرَى الْجَمِيلَ.. وَمُنْكَرًا!!  
وله "وزيرٌ".. في السَّمَا!!  
والأَرْضِ.. بعضاً وَزَّراً!!  
وَتَرَاهُ فِي الْجَنَاتِ!! يَدْخُلُ..  
بل.. وَيُنْعِمُ زَائِراً!!  
وكذلك الأَمْوَاتُ!! يَسْمَعُهُمْ..  
ويرحمُ مِيتًا ما أَطَّهَرَا!!

حتى على " المعراج " .. يعلو  
الكل .. حَقًّا .. شاكرًا ..

و " الروح " فيه .. به يقوم  
الكون .. منه مُدَبِّرًا

\*\*\*\*\*

هذا عجب .. بل وأعجبُ  
منه .. ما لن أذكرًا !!

إن كنتَ تفهم ما أقول ..  
وعقلُ قلبك صَوْرًا

قلْ لى إِذَا .. كيف النبي  
تراه مثلكَ ظاهراً !!

وهو الذي يَحْوِي العو  
المَ في الفؤادِ مُطَهَّرًا !!

هو رحمةٌ للعالمين ..  
تراه فيها داخرا ..  
أَوْ تَصْلُحُ الْأَكْوَانُ دُونَ  
النُّورِ يَسْرِي ظَاهِرًا !!  
أَوْ دُونَ رَحْمَةِ رَبِّنَا !!  
وَاللُّطْفُ فِينَا قَدْ سَرَى !!  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَفِيقُوا ..  
وَأَفْهَمُوا مَا قَدْ جَرَى  
إِنَّ " الْمَحْمَدَ " .. كُنُزُ سِرِّ  
اللَّهِ .. رَبِّي أَكْبَرُ  
قَرَنَ الْإِلَهَ بِهِ اسْمَ رَبِّي  
فِي الْأَذَانِ مُكَبَّرًا

فافهمُ بأنَّ "محمدًا" ..  
نورًا .. بدأ مُتصوِّرًا !!

\*\*\*\*\*

يا ربُّ .. صلِّ على الحبيب ..  
كما تُحبُّ .. وما تَرَى  
مِنْ كلِّ ما تَرْضَى .. صلاةً  
يستنيرُ بها الوَرَى  
من نورِ ذاتك .. سيدى ..  
و "القدسِ" منك .. تَطَهَّرًا  
تعلو على كلِّ الصلاة ..  
وَمَنْ أَتَى متفاخِرًا  
مِنْ دونِ حَصْرِ .. ما أتى  
المُحصَى يُعَدُّ .. مُشَمَّرًا !!

فوق العقول .. وفوق  
عقل .. يستنير مُدَبَّرًا  
كلُّ الصفاتِ .. بها تدور ..  
مع التَّجَلَّى دائِراً  
والنورُ منها .. شَعَّ .. حتى  
صار تاجاً مُبَهِّراً ..  
لا سابق .. أو لاحق ..  
قد نال منها ظافراً ..  
بل .. كلُّ كونِ اللهِ يَبْقَى  
فى الجلالةِ .. حائراً ..  
همم .. يَسْتَقُونُ بها .. ومن  
أنوارها .. يَحْيَى الثَّرَى

سِرُّ الحِياةِ بها .. وبالتقدِيسِ  
والأَسرارِ .. يَبقى مُثَمِّرا

\*\*\*\*\*

والرُوحُ .. لَمَّا أَنْ تَلاها ..  
هَامَ .. فيها ذاكِرا  
" جبريلُ " .. يتلوها .. وفي  
الملكوتِ .. صار مُكَبِّرا !!  
والمَلِكُ .. كلُّ المَلِكِ .. يَأْتِها ..  
لِيشْرُفَ زائِرا ..  
وعوالمُ الملكوتِ .. تَعُشى  
النورَ فيها .. باهرا ..  
و"اللوحُ .. والميزانُ .. والمعمورُ ..  
والكرسىُّ " .. يَبقى ساهِرا

و "صَحَائِفُ الحُفَاظِ" .. لا  
تَكْفِي لَهَا .. لِتُسَطَّرَا  
ويقول ربُّ الكونِ .. هدى  
لى .. تُنِيرُ سِرَائِرَا ..  
القلبُ .. يتلوها .. وروحُ ..  
قد عَلَتْ فوقَ الذُّرَا  
يا كنزَ نوري .. يا "محمدنا" ..  
وَسِرًّا .. قد سَرَى  
هدى .. هدايا مِنْ مُحِبٍّ ..  
صار فيكمُ مُبْحِرَا !!  
قد عاش فيك من القد  
يم .. ولم يَعدْ لك صابرا !!

خَلَعَ الْعَذَارَ .. مع الْحَيَا !!  
وَالرُّوحُ .. صَارَ مُفَجَّرًا !!

\*\*\*\*\*

فَيَقُولُ مَوْلَانَا : إِلَى ..  
فَقَدْ عَلِمْتُ مُبَكَّرًا !!  
هَذَا .. كَظَلِّي .. قَدْرَأَى  
مَا لَا يُطَاقُ .. وَلَا يُرَى !!  
عُذْرًا لَهُ .. قَدْ فَاضَ  
فِيهِ الشُّوقُ .. حَتَّى عَبَّرَا ..  
فَدَعَا لِي .. نَعْمَ الْمُحِبُّ ..  
وَمَا تَشَدَّقَ وَافْتَرَى  
هُوَ .. قَوْلُهُ .. أَوْشِعْرُهُ ..  
مِنِّي .. لِيَصْبِحَ شَاعِرًا !!

أنا .. مُلْهِمٌ .. فى رُوحِهِ ..  
فَيَقُولُ عَنِ نَاشِرِا  
إِنِّي قَبِلْتُ صَلَاتَهُ ..  
وَرَضِيْتُ عَمَّنْ قَدِ قَرَأَ ..  
نَشْرًا .. وَشِعْرًا .. أَوْ تَسْمَعَ  
مِنْهُ .. قَوْلًا نِيِّرًا  
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ .. يَا  
مَوْلَاىَ .. مَا دَامَ الْوَرَى  
حَتَّى تَقُولَ رَضِيْتُ ..  
فَاسْكُنْ عِنْدَنَا مُتَشَكِّرًا  
مِنْ نَوْرِ سِرِّي .. لَنْ تَرَى  
شَأْنَالِكُمْ مُتَعَسِّرًا

دنیا.. وأُخْرَى .. صار أمرُ  
كُلِّهِ مَتَيْسَّرًا

يا ربُّ.. فاقْبَلْنِي .. بِجَاهِ  
"المصطفى" .. لك شاكِرًا

واقْبَلْ صلاتِي .. سيدي  
ما دام كُون دائِرًا ١٨٣

\*\*\*\*\*

\*\*\*



القاهرة

أخِر ربيع أول ١٤٢٩ هـ / أبريل ٢٠٠٨ م

